الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

خطبة الجمعة بعنوان

قرآننا

بتاريخ/ ١٢ رجب ١٤٤٤هـ ٢ - ٣ - ٢٠٢٣

خطبة الجمعة

((قرآننا))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

أما بعد عباد الله:

إن الله عَزَّوَجَلَّ من علينا بكتابٍ عظيم فقال في محكم التنزيل: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة: ١-٢]

قرآننا كتابٌ مبين قرآننا فيه هدايةٌ إلىٰ كل خير وإرشادٌ إلىٰ كل بر قرآننا هو كلام ربنا غير مخلوق هدىً ورحمةً للمتقين وشفاءٌ لما في صدور المسلمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧]

قرآننا فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم ما بيننا هو الفصل ليس بالهزل من ابتغىٰ الهدىٰ في غيره أضله الله قرآننا هو حبل الله المتين والذكر الحكيم لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء والعباد والتُّلاء ولا يمل العبد من قراءته ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أُجر ومن حكم به عدل ومن دعَ إليه هديَ إلىٰ صراطٍ مستقيم.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر: ٢٣]

أيها المؤمنون:

إن هذا القرآن الذي بين أيدينا كتابٌ حُق بنا أن نفتخر فيه كيف لا! وقرآننا آيات بينات معجزاتٌ ظاهرات دلائل باهرات حجج قاهرات متجددٌ هذه الحجج متجددةٌ من وجوهٍ متعددة من جهة اللفظ فلا مقارنة بينه وبين فصحاء العرب ومن جهة النظم لا مقارنة بينه وبين بلغاء العرب فضلًا عن العجم حجةٌ بالغةٌ من جهة البلاغة لا مقاربة بينه وبين الكتب المنزلةِ الأخرىٰ ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيوب الماضية فلا يمكن أن يأتي خبرٌ يكذبه ولا الغيوب المستقبلية فلا يمكن أن يأتي واقعةٌ علميةٌ تكذب أخباره من جهة ما أخبر به من المعاد ومن جهة ما فيه من الدلائل أن يقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة ومن جهة ما فيه من تشريعٍ للعبادات علىٰ صورةٍ عظيمة ومن جهة ما فيه من تبيين للأخلاق النبيلة ومن جهة معانيها ومقاصدها لما يدعوا إليها فهو كلام ربنا والإنس والجان عاجزون عن الإتيان بمثله ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ [يونس: ٣٨]

فلما عجزوا وهم عاجزون ولو أجتمع الأولون والآخرون: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨]

فلما قامت قريش ومن دان بدينها وصارت إلىٰ السيوف وتركت المخاطبة بالحروف لأنهم عجزوا عن مماثلة القرآن قال الله جَلَّوَعَلَا فإن لم يأتوا بمثله ولن يأتوا بمثله ماذا قال الله عَزَّوَجَلَّ؟ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]

عباد الله:

من فضل الله جَلَّوَعَلَا علينا وأفضاله عظيمة أن قرآننا محفوظٌ بحفظه لنا فإنه جل في علاه حفظ الأيدي التي تحرفه وإذا به تكشفه حفظ الأيدي التي تغيره وتبدله فينبري العلماء فيقولون كذب فلانٌ في كتاب الله وأخطأ وزاد أو أخطأ الطابع الفلاني والكاتب الفلاني فزاد في الآية حرفًا أو نقص منه كلمةً وإذا بصبيان المسلمين يخطئون الإمام الكبير إذا أخطأ في الصلاة وإذا بالقراء الملمين يبينون غلط الخطاط العظماء الخطاطين العظماء هذا أعظم دليلٍ علىٰ حفظ الله لهذا الكتاب فلا يمكن لأحدٍ من شياطين الإنس والجن أن يزيد فيه حرفًا إلا فضحه الله ولا أن يحاول تحريفًا إلا كشفه الله قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا أو ينقص منه حقا فهو كتابٌ لا يمكن للباطل أن يأتيه ولا لعدوٍ للدين أن يغيره قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يستطيع ذو باطلٍ تغييره بكيده وتبديل شيءٍ من معانيه عما هو به وذلك هو الإتيان من بين يديه ولا إلحاق ما ليس منه فيه وذلك إتيانه من خلفه.

وعن عياضٍ المجاشعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال ذات يومٍ في خطبته: ألا إن ربي أمرني أو أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرأه نائمًا ويقظان" [رواه مسلم]

وقوله: فلا يغسله الماء: أي أنه محفوظٌ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقىٰ علىٰ مر الأزمان فلو غُسلت المصاحف كلها لما أتغسل القرآن من الصدور ولما ذهب من الوجود وكونه يُقرأ نائمًا ويقظانًا فترىٰ المسلم يقرأ القرآن قائمًا وقاعدًا، بل وراقدًا فلو انتبهت له ربما قرأ سورةً وهو نائمٌ خصيصةٌ من خصائص القرآن.

أيها المؤمنون:

واجبٌ علىٰ كل مؤمن أن يعرف لهذا القرآن الذي هو أعظم كتابٍ علىٰ وجه الأرض محفوظٍ في الصدور مكتوبٍ في السطور واجبٌ علىٰ كل مؤمنٍ أن يحبه كيف لا! وهو كلام الله فيه نور البصيرة وفيه الهدايات من الظلمة منه ظلمة الشرك والبدع وسيء الأخلاق علىٰ كل مسلم أن يعمل بحلاله ويبتعد عن حرامه ويقف عند حدوده ويجعله نورًا يمشي به في الناس كما قالت عائشة عن النبي ﷺ: كان قرآنًا يمشي وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ أهل القرآن العاملين به فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة: ١٢١]

قال بن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منه شيئًا علىٰ غير تأويله وقد سمىٰ النبي ﷺ أهل القرآن وحفظته أهل الله وخاصته من هم أهل الله وخاصته؟

قال أنسٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إن رسول الله ﷺ قال: إن لله أهلينا من الناس قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: هم أهل القرآن أهل الله وخاصته" [رواه بن ماجة وصححه الألباني]

رفع الله تعالىٰ شأن القرآن وأعلىٰ مكانته بين الكتب وفي قلوب الآنام كما قال ﷺ: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامً ويضع به آخرين" [رواه مسلم من حديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ]

فمن أراد الرفعة فليرفع شأن القرآن والعمل به ومن أراد الوضيعة فليتعرض لكتاب الله ثم لينظر كيف يضعه الله حتىٰ يكون أهون من الجعلان ورب الكعبة فاجتهدوا عباد الله في تلاوة كتاب ربكم آناء الليل وأطراف النهار اعتزوا بدينكم وكلام مليككم أحبوا من يحب كتابه ويصونه وأبغضوا من يطعن فيه ويهينه تذكروا ما أعد الله تعالىٰ من الأجور الكثيرة علىٰ تلاوته وتدبره والعمل بما فيه.

يقول عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: قال النبي ﷺ: يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتقي ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرأها" [رواه أبو داوود والترمذيُ وصححه]

وفي محكم التنزيل: ﴿۞فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠]

أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صل الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد عباد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله تعالىٰ فمن اتقىٰ الله وقاه وجعل الجنة مأواه.

عباد الله:

كم حاول أعداء الدين من الكفرة والملحدين ويحاولون أن يهينوا ديننا ونبينا وكتاب ربنا وذلك عبر أفعالٍ شنيعةٍ وأعمالٍ وضيعةٍ تدل علىٰ وضاعتهم؟ فهذا يرسم رسومًا مسيئة وآخر يحاول حرق مصاحفنا ظنًا منهم أنهم بذلك يهينون ديننا ولا يعلمون أن حالهم كحال من أراد أن ينطح جبلًا فيقال له: يا ناطحًا جبلًا يومًا ليوهنها لا تشفق علىٰ الجبل أشفق علىٰ الراسي، نعم يريدون أن يهدموا الدين أو يبطلوه ولكن دين الله باقٍ لأن الله أبقاه ما بقي الليل والنهار والإسلام في سطوعٍ وانتشار ما دامت الملوان تتحركان كتاب الله محفوظ والعاقبة لأهل الإيمان والإسلام حتىٰ ينزل عيسىٰ بن مريم، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣]

إن أفعالهم هذه لا شك أنها تنم علىٰ حقدٍ دفين وحسدٍ مبين في قلوبهم علىٰ الإسلام والمسلمين فوا عجبًا من أقوامٍ إذا أحرقت أعلام الشواذ اللوطيين الذين يأتون البهائم وأمثالهم من البشر تقوم لهم قائمة وكأن الدنيا أقيمت ثم إذا أحرق كتاب الله الذي يتدين

به مليار مسلمٍ وأكثر يقولون حريةٌ شخصية لتعلموا تلك الحريات الزائفة ولتعلموا كيف تحققون الولاء والبراء في دين الله جَلَّوَعَلَا حققوا أصل الولاء والبراء بالحب لله ولدين الله والبغض للكفار وأعداء الله واعتزوا بدينكم وأعلموا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وسبيل حصولها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وبالرجوع إلىٰ دين الله والتمسك بهداه وهدي نبينا ﷺ

أيها المسلمون:

آية من آيات النبوة تجلىٰ في مثل هذه الأفعال إن نبيكم ﷺ قبل أكثر من ألفٍ وأربعمائة عامٍ قال: لا يسافرن أحد منكم بالقرآن إلىٰ الأعداء لماذا نهىٰ النبي ﷺ أن يسافر المسلم بالمصحف إلىٰ بلاد الأعداء؟ لأجل هذه الوقائع وإن كانت فردية لكنها مصانةٌ بقوانين وضعية فصارت كأنها قوانين عامة فاعلموا رحمني الله وإياكم أن خير الهدي هدي محمد ﷺ فتمسكوا بالهدي القويم ونسأل الله الكريم رب العرش العظين أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وذهاب همومنا وجلاء أحزاننا وقائدنا وسائقنا إلىٰ الله جَلَّوَعَلَا وإلىٰ جناتك جنات النعيم، اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، اللهم من أراد به شرًا فاجعله آية للمعتبرين اللهم من أراد به شرًا فاحرقه في الدنيا قبل الآخرة يا رب العالمين، وأهده إلىٰ الإسلام إن لم ترد عذابه يا رب العالمين حتىٰ يرجع ويعلم أن ما كان به كان من شر الشياطين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين وأنصر عبادك الموحدين اللهم أجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين وفق ولي أمر البلاد لما فيه صلاح العباد.